أولا
المقدمة

سبب اختيار الموضوع.

أهميته العلمية.

العمل الذي عملته في الكتاب .

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمـــــة

الحمد لله الذي بعث في كل أمة رسولا ليـعبدوه مخلصين له الدين وجعل خاتمهم وأفضلهم محـمدا ﷺ أخذ العهد والميثاق علـى النبين إن أدركوه في حياته ليؤمـن به، وليكونن من أنصاره وأتبـاعه، ناداهم بأسـمائهم وناده بوصف الـنبوة والرسالة، وأنزل عليه القرآن الكريم ومثله معه، فكان معجزة خالدة، أعجز البلغاء والفصـحاء والحكمـاء، وتكفل الله بحفظه إلى يوم القـيامة وجـعله مهيـمنا على الكتب قبله، وحـجة على من بلغـه. وجادل به أهل الكتاب فـأقام عليهم الحـجة ونصره الله به في إظهار دينه وأيده.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه ومن اتبع هديه ونصر شريعـته إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا ـ.

أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل منذ خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ فقد كان في صراع مع إبليس الذي أمـره الله بالسجود لآدم فـأبى واستكبر وتوعـد بإغواء آدم وذريته ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١)** ﴾ إلى قـوله تعـالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)**﴾ [1] واستمر هذا بين حزب الله المفلحين وحزب الشيطان الخاسرين في كل عصر. وبين

١- سورة الأعراف: ١١- ٢٧.

الأنبياء والمعاندين من المشركين والكافرين .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) ﴾ (١)

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦)﴾ (٢)

إلى أن جاءت رسالة محمد ﷺ فكانت خاتمة الرسالات وكانت سنة الله جارية في ذلك الصراع، ومنه الصراع الذي كان مستمرًا بين نبي الله وأهل الكتاب: اليهود والنصارى، فكانوا دائما يحاولون التشكيك في القرآن الكريم وفي نبوة محمد ﷺ منذ نزول الوحي بمكة، ويحرض اليهود كفار قريش في انكار دعوته ﷺ وإثارة الشبه حول ما جاء به .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾ (٣) .

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾ (٤) .

ومن هؤلاء: النصارى الضلال الذين اتخذوا من شخص محمد ﷺ والقرآن

---

(١) سورة غافر: ٥- ٦ .
(٢) سورة الكهف: ٥٦ .
(٣) سورة البقرة: ١٠٩ .
(٤) سورة البقرة: ١٢٠ .

الكريم والسنة المطهرة، هدفا يصوبون إليه سهامهم المسمومة، ويوجهون نحوها الدعاوى الباطلة، والمطاعن الكاذبة؛ استمروا على ذلك منذ فجر الإسلام، ولقد سجل القرآن الكريم بعض مواقفهم مع النبي ﷺ ومناظرتهم له، كما في قصة وفد نجران التي انتهت بالمباهلة التي امتنعوا منها لعلمهم بأن محمدا ﷺ على الحق وخوفهم أن يقصمهم الله لعنادهم ومكابرتهم وكتمانهم الحق[1].

واستمر ذلك عبر القرون التالية لعصر النبوة والخلافة الراشدة. وظل الاسلام يخوض معهم حروبا ساخنة بالسيف والقلم كما حدث في الحروب الصليبية... والاستعمار الغربي الصليبي في أول القرن الحاضر، ولا تزال آثار هذه الحروب باقية إلى اليوم.

ولقد اشتدت الحرب الفكرية الشيطانية في هذه، الأيام واستطاعت أن تستخدم المؤسسات التعليمية والوسائل المقرؤة والمرئية والمسموعة بل وتستعمل العقول الجاهلة والضالة لترويج تلك السموم والدعاوى الباطلة، والمطاعن الكاذبة التي رددها أسلاف هؤلاء النصارى الصليبين.

لقد نهجوا في ذلك أساليب كثيرة، واتخذوا وسائل متعددة ففتحوا الجامعات اللاهوتية لدراسة الإسلام وتتبع نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، والسيرة النبوية الشريفة، في محاولات جادة لإثارة الشبه والمطاعن حولها، وتخرج من هذه الجامعات مجموعة من عصابات الاستشراق والتنصير، وانطلقوا بقلوب مليئة بالحقد والتعصب، على خطط متضافرة على العمل ضد الإسلام تمدها ميزانيات ضخمة من الدول الأوروبية والأمريكية الكافرة.

---

(١) نزل في ذلك معظم النصف الأول من سورة آل عمران.

ولقد كانت لهم الآثار الكبيرة في المعاهد والمدارس، والمنشآت الطبية والدوائية، والأندية الرياضية، والجمعيات الثقافية، والملاجىء، ودور التكافل الاجتماعي، والكنيسة وتحركاتها التنصيرية.

وكان وقوف المسلمين في هذا العصر أمام هذه الحرب الضروس قليلا، فلم تتحرك الدول الإسلامية في مقابل تحركات الدول الغربية بدعم قساوستهم ومنصريهم، بل اقتصر الأمر على جهود فردية قليلة أخذت تدافع وتصد هجوم هؤلاء الأعداء عن طريق التأليف والنشر... والمناظرات مع القساوسة، مثل مناظر الشيخ رحمة الله الهندي مع القس فندر، ومجموعة من العلماء في مصر مع مجموعة من القساوسة في السودان، ومناظرة أحمد ديدات مع بعض النصارى أخيرا.

فتركز في ذهني ضرورة الذب عن حياض الدين وعن شخص محمد ﷺ والقرآن الكريم والسنة المطهرة، وفضح أباطيل النصارى، وكشف خدعهم، فأخذت أبحث في تراث علماء الإسلام عن مؤلف يحقق الهدف، ليقيني بأن حجتهم أقوى، وردهم أبلغ وأعمق.

فوقع اختياري على كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية للإمام سليمان بن عبدالقوي الطوفي، وذلك للأسباب التالية:

أولاً:

إن الإمام الطوفي ـ رحمه الله ـ نقض في هذا الكتاب دعاوى للنصارى ما زال أحفادهم يرددونها في زماننا هذا، ويتولى كبرها طائفة من المتخصصين في جامعاتهم اللاهوتية التي أنشئت لهذا الغرض.

ثانيا:

إن في المجتمع الإسلامي بعض الجهال وأمي الفكر. ومن انخدع بما يأتي به النصارى والمنصرون من شبهات عبر ما يكتبونه وينشرونه في المجتمع الإسلامي، ويظنون أن هذه الشبهات والدعاوى الباطلة هي وليدة هذا العصر، وأن السابقين من المسلمين لا يدرون بها، وأنهم يجهلونها، وحسبوا أن النصارى فيها على شيء وما هم على شيء - والحمد لله - وما علم هؤلاء المغفلون والجهال أن النصارى ضلوا في الربوبية فقالوا: إن الخالق ثلاثة وإن الثلاثة واحد، وفي الألوهية فعبدوا عيسى - عليه السلام - من دون الله، ووصفوا الله بصفات المخلوق وجعلوه إنسانا وجعلوا الإنسان إلها - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - فكيف يأخذ كلامهم بعد من له أدنى تمييز.

ثالثا:

إن الإمام الطوفي - رحمه الله - مشهور بذكائه وغزارة علمه وقوة حجته على المخالفين للحق تشهد بذلك كتبه في الأصول وشتى العلوم والفنون وخصوصا في مجال الجدل الذي برع فيه وألف بعض المؤلفات في ذلك، ولا شك أن من كان كذلك فهو أهل لمجادلة النصارى ورد شبهاتهم ود حض مفترياتهم وإظهار مساوئهم.

رابعا:

إنه يتحقق بإخراج هذا الكتاب ودراسته وتحقيقه الهدف النبيل في الدفاع عن الإسلام في هذه الحرب الشعواء التي يشنها أعداء الإسلام في هذا الزمان من النصارى وغيرهم من الملاحدة والمنافقين المحسوبين على الإسلام.

خاصة أن الكتاب لم يخدم خدمة علمية جيدة ولم توثق نصوصه وتخرج

أحاديثه وتعرف أعلامه ليسهل على الباحث الاستفادة منه.

وسيأتي لهذا زيادة بيان ـ إن شاء الله ـ في الحديث عن أهمية الكتاب العلمية وبعض الفصول الأخرى.

وقد كان عملي في هذا البحث علي قسمين: دراسة وتحقيق:

أما القسم الدراسي فقد كان قسمين أيضا.

القسم الأول: تعريف موجز بالطوفي وعصره.

وتحته فصلان:

ـ الفصل الأول: ماله أثر في حياة الطوفي.

أ- الحاله السياسية: وقد تحدثت في هذه الفقرة عن الأحداث السياسية: التي كانت في زمنه وعلى الأخص حرب التتار والحروب الصليبية لما للأولى من أثر على بغداد وما حولها موطن الطوفي، ولما للثانية من أثر على الإسلام والمسلمين في جميع بلدانهم، ولأن هذه الحروب كانت من أسباب طغيان النصارى وبث أفكارهم السيئة، ورد الطوفي وغيره عليهم.

ب - الحالة الاجتماعية: وقد بنيت الحياة الاجتماعية واختلاط المسلمين بغيرهم من التتار والأتراك والنصارى وما طرأ على حياة المسلمين من التأثر بهذه الأجناس.

جـ- الحالة الثقافية والفكرية: أوضحت فيها اتساع الثقافة الإسلامية وازدهارها رغم العوائق الكبيرة والصعبة التي كانت في طريقها وكيف صمد العلماء أمام تلك العقبات والمشكلات وردوا كيد أصحابها في نحورهم.

الفصل الثاني: حياة الطوفي

وقد كان الحديث في هذا الفصل عن:

١- مولده ونسبه.

٢- كتبه ولقبه.

٣- نشأته وأسرته.

٤- طلبه للعلم وفقهه.

٥- آثاره العلمية ومصنفاته.

٦- شيوخه وتلامذته.

٧- عقيدته ومذهبه.

٨- وفاته وأقوال الناس فيه.

وقد توسعت قليلا في موضوع الطوفي وعقيدته فتحدثت فيه عن أمور مهمة:

الأمر الأول: اتهام الطوفي بالرفض، وقد بينت من خلال كتبه وما فهمته في هذا الموضوع أن الاتهام غير صحيح وليس عليه دليل.

الأمر الثاني: موقف الطوفي من توحيد الأسماء والصفات وقد ظهر لي أنه يوافق الأشاعرة في بعض مذهبهم. وقد نقلت ما يؤيد ذلك من كتبه.

الأمر الثالث: موقف الطوفي من المصلحة المرسلة ومخالفته لجمهور الفقهاء والأصوليين واستقلاله بقوله الخاص في ذلك.

الأمر الرابع: موقف الطوفي من خبر الآحاد. والقول الحق في ذلك وصلة هذا بقوله في المصلحة المرسلة.

أما القسم الثاني:

فقد تحدثت فيه عن الأمور التالية:

١) اسم الكتاب ونسبته إلى الطوفي.

٢) سبب تأليف الطوفي لكتاب الانتصارات.

٣) زمن ومكان تأليف الكتاب.

٤) منهج الطوفي فيه.

٥) مقارنة هذا الكتاب بغيره مما كتب في الرد على النصارى.

٦) المصادر التي اعتمد عليها الطوفي في تأليف هذا الكتاب.

٧) أهمية هذا الكتاب العلمية.

٨) وصف النسخ الخطية التي اعتمدتها في التحقيق، وقد بينت في ذلك

الأخطاء التي ارتكبها الدكتور أحمد حجازي السقا في إخراجه الكتاب أثناء إعداد البحث، واعتزالياته وانكاره للسنة والطعن فيها، وأن ذلك سبب في تشويه الكتاب والحط من قيمته العلمية.

أما القسم الثاني من العمل فهو القسم التحقيقي وقد كان على النحو التالي:

١- حققت نص الكتاب وذلك بمقابلته ومراجعته على ثلاثة أصول خطية. وقد تبين أن هناك فروقا بينها، وأثبت ما يكون ساقطا من بعضها، واخترت ما أراه هو الصواب من ألفاظ تلك النسخ. وأشرت إلى ذلك في الهامش.

٢- أثبت الفوارق بين النسخ في الهامش وهي قليلة ـ بحمد الله ـ وصححت أخطاء النساخ النحوية والإملائية الواردة في النص.

٣- عزوت النصوص إلى مصادرها.

٤- رقمت الآيات القرآنية الكريمة.

٥- وثقت ما نقله المؤلف من كتب العهدين القديم والحديث.

٦- شرحت المصطلحات والمفردات الغريبة.

٧- علقت على بعض المسائل التي رأيت أنها بحاجة إلى ذلك.

٨- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة، واجتهدت في الحكم على أسانيدها إن لم تكن في الصحيحين أو لم يصححها أحد من العلماء أو من الدارسين لأسانيد تلك الأحاديث.

٩- عرفت بالأماكن والبقاع والأعلام والفرق والملل.

١٠- وضعت فهاس عامة للآيات القرآنية والأحاديث والآثار والأعلام والأماكن والبقاع المذكورة في البحث والمصطلحات والمفردات الغريبة، والأمثال العربية، والأشعار، والفرق والملل، وفقرات الكتب التي بأيدي النصارى، والمصادر والمراجع، وموضوعات الدراسة والكتاب.

وعلى العموم فقد أفرغت جهدي وطاقتي في هذا البحث متوخيا الدقة وسبل التحقيق، راجيا الثواب من رب العباد، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يظهر الحق ويدحر المشركين والملحدين والضالين ومن في قلبه مرض.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه:

سالم بن محمد القرني - عفا الله عنه -

الرياض ١٨/ ١٠/ ٧ - ١٤هـ